بسم الله الرحمن الرحيم

# سورة المؤمنون

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

وبعد، فهذه سورة المؤمنون المكية، والتي روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بخصوصها أنه قال: كان إذا نزل على رسول الله الوحي نسمع عند وجهه دويٌّ كدوي النحل، فأنزل عليه يومًا فمكثنا ساعة، فسري عنه، فاستقبل القبلة، فرفع يديه، فقال: **«اللّهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنَّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا»** ثم قال: **«لقد أنزلت عليّ عشر آيات مَن أقامهن دخل الجنة»**، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الآيات.

وفيها يقول تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ
ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾﴾

والمعنى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ وفاز ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ بالله ورسوله وكتابه، الموصوفون بمجموع هذه الصفات:

**الأولى:** الخشوع في الصلاة ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ لله.

obeikandl.com

**الثانية:** الإعراض عن اللغو ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ﴾ من الكلام وغيره ﴿مُّعۡرِضُونَ﴾ عن المشاركة فيه، والتسبب له، بل عن حضوره أيضًا.

**الثالثة:** أداء الزكاة ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ أي: مداومون علىٰ أدائها.

**الرابعة:** حفظ الفروج ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ﴾ عوراتهم، رجالًا كانوا أو نساءً ﴿حَٰفِظُونَ﴾ عن الحرام ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ من الإماء ﴿فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾ في إتيانهن ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ﴾ أي: طلب قضاء شهوة ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ أي: في غير الزوجة والأمة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ المتعدون المعتدون علىٰ ما حرم الله.

**الخامسة:** حفظ الأمانات والعهود ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ﴾ جميعها، سواء كانت بينهم وبين الله، أو بينهم وبين الناس ﴿وَعَهۡدِهِمۡ﴾ أي: وعهودهم، كذلك ﴿رَٰعُونَ﴾ أي: حافظون، وقائمون عليها، ومؤدون لها.

**السادسة:** المحافظة علىٰ الصلوات ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ يؤدونها كاملة، تامة، في أوقاتها.

يقول ربنا سبحانه عن هؤلاء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ لا غيرهم.

ولكن الوارثون لماذا؟ يقول الحق سبحانه:

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾

**يعني:** هؤلاء هم الوارثون ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ﴾ وهو أعلىٰ وأعظم الجنان ﴿هُمۡ فِيهَا﴾ في جنة الفردوس ﴿خَٰلِدُونَ﴾ لا يتحولون عنها، ولا يخرجون منها، ولا يموتون فيها، اللهم اجعلنا منهم، وأسكنا معهم يا رب العالمين.

إن الله تعالىٰ لـمَّا وصف المؤمنين بهذه الصفات، كان ذلك طلبًا لها منهم، وتكليفًا لهم بها، والاشتغال بها، والتحصيل لها: عبادة، لأن العبادة لا تصح إلَّا بعد معرفة الإلٰه الخالق، فقد جاء سبحانه، بأربعة أنواع من الدلائل علىٰ وحدانيته، ووجوده، وقدرته، وعظمته سبحانه، حيث قال في **النوع الأول:**

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ
﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا
فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾
ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾

في هذه الآيات الكريمة دليل علىٰ وحدانية الله وقدرته وعظمته، من خلال تقلب الإنسان في أطوار خلقه، وهي تسعة أطوار وبيانها علىٰ النحو التالي:

**الطور الأول:** خلق الإنسان من سلالة من طين ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾.

**الطور الثاني:** جعله نطفة في قرار مكين ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ أي: نطفة من الأب، تصير ثابتة في رحم الأم.

**الطور الثالث:** تحويل وخلق النطفة علقة ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ قطعة دم جامدة، تتعلق بجدار الرحم.

**الطور الرابع:** تحويل وخلق العلقة مضغة ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ أي: قطعة لحم، قدر ما يمضغ.

**الطور الخامس:** تحويل وخلق المضغة عظامًا ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا﴾.

**الطور السادس:** تكسية العظام باللحم ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا﴾.

**الطور السابع:** تحويل هذا الخلق خلقًا آخر مختلف عنه تمامًا ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ حيث صار حيوانًا بعد أن كان جمادًا، وناطقًا بعد أن كان أبكمًا.. إلىٰ غير ذلك مما هو معروف ومشاهد.
لذلك يقول سبحانه: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾.

**الطور الثامن:** الموت بعد ذلك ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.

**الطور التاسع:** البعث والإحياء والإعادة مرة أخرىٰ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾.

ثم يقول ربنا عز وجل في **النوع الثاني** من الدلائل علىٰ وحدانيته ووجوده، وقدرته وعظمته سبحانه:

obeikandi.com

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾

**يعني:** ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ أي: سبع سمٰوات، وسميت السمٰوات طرائق؛ لأنها طرق الملائكة.

﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ﴾ الموجودين تحتها ﴿غَـٰفِلِينَ﴾ عنها وعنهم، حتىٰ لا تسقط عليهم فتهلكهم، بل يمسكها الله بقدرته، آية من آياته، وهي آية تستحق الشكر الدائم لله الواحد القادر سبحانه وتعالىٰ.

ثم يقول ربنا تبارك وتعالىٰ في **النوع الثالث** من الدلائل علىٰ وحدانيته ووجوده، وقدرته وعظمته سبحانه:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

**يعني:** ﴿وَأَنزَلْنَا﴾ لكم ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: السحاب ﴿مَآءً﴾ تشربون منه، وتنتفعون به ﴿بِقَدَرٍ﴾ أي: بمقدار تسلمون معه من الضرر، وتصلون به إلىٰ المنفعة، في الزرع، والغرس، والشرب.. إلخ.

﴿فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وجعلناه ثابتًا في جوفها، وعلىٰ ظهرها.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ﴾ فتموتون مع دوابكم عطشًا، ولكنا لا نفعل لطفًا بكم، وعطفًا عليكم بل أبقينا الماء ساكنًا في الأرض ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ﴾ بساتين ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ﴾ وكذلك ﴿لَّكُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنات ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ تأكلونها.

﴿وَمِنْهَا﴾ أي: من الجنات ﴿تَأْكُلُونَ﴾ أي: تتخذون حِرفًا تتعايشون منها.

﴿و﴾ كذلك: أنشأنا لكم بالماء ﴿شَجَرَةً﴾ وهي شجرة الزيتون ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ وهو أول مكان ظهرت فيه شجرة الزيتون ثم نقلت إلىٰ غيره ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ الذي هو زيتها والذي هو ﴿صِبْغٍ﴾ إدام ﴿لِّلْـَٔاكِلِينَ﴾.

وكل ذلك آيات تستحق الشكر الدائم لله الواحد القادر سبحانه وتعالىٰ.

ثم يقول ربنا جلت حكمته في **النوع الرابع** من الدلائل علىٰ وحدانيته ووجوده، وقدرته وعظمته سبحانه:

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢)﴾

في هاتين الآيتين الكريمتين دليل علىٰ وحدانية الله وقدرته من خلال الأنعام ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ ودلالة علىٰ وحدانيته سبحانه وذلك: من أربعة أوجه:

**الوجه الأول:** ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾، ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦].

**الوجه الثاني:** ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ وهي حية.

**الوجه الثالث:** ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وهي مذبوحة.

**الوجه الرابع:** ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ أي: هي في البر مثل السفن في البحر، في النفع لكم، والحمل لأغراضكم.

وكل ذلك آيات تستحق الشكر الدائم لله الواحد، القادر سبحانه وتعالىٰ.

لمَّا بين ربنا دلائل توحيده، أتبع ذلك بذكر مجموعة من القصص للأنبياء الداعين لوحدانية الله، **وكانت القصة الأولىٰ وهي: قصة نوح** عَلَيْهِ السَّلَامُ. يقول سبحانه وتعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣)﴾

أي: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ برسالتنا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ يدعوهم فيها إلىٰ توحيد الله وعبادته ﴿فَقَالَ﴾ لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحده وأطيعوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ يستحق أن يعبد.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ غضبه، وعقوبته، حينما تعبدون غيره؟

ماذا كان ردهم عليه، وإجابتهم له؟

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾

**يعني**: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟﴾ أي: السادة الذين يتصدرون القوم، ويملئون العيون إبهارًا، و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ للعامة منهم، ردًّا علىٰ دعوته لهم، خمسة أشياء:

**الأول**: ﴿مَا هَٰذَآ﴾ الذي يدعوكم ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ وليس ملكًا، وهو ﴿يُرِيدُ﴾ بدعوته هذه ﴿أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ ويصبح رئيسًا لكم.

**الثاني**: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ إيمانكم به ﴿لَأَنزَلَ﴾ لكم ﴿مَلَٰٓئِكَةً﴾ يدعونكم إلىٰ هذا الإيمان، الذي يدعيه.

**الثالث**: ﴿مَّا سَمِعْنَا﴾ مثل ﴿هَٰذَا﴾ وهو أن يكون الرسول بشرًا ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

**الرابع**: ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: نوح عليه السلام ﴿إِلَّا رَجُلٌ﴾ وليس برسول ﴿بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ أي: مجنون، حينما يزعم أن الله اختصه وحده بهذه الرسالة.

**الخامس**: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: انتظروا واصبروا عليه فترة، حتىٰ يفيق من جنونه، وإلَّا فاقتلوه.

ليس فيما ذكروه رد حقيقي علىٰ دعواه لهم بل كلها استهزاء به، وتكذيب له، وتهديد إليه، وهي عادة الطغاة مع الدعاة في كل العصور.

ولكن ماذا فعل نوح عليه السلام؟

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾

أي: لجأ إلىٰ ربه، وطلب عونه، ونصرته.

أتدرون ماذا كانت نتيجة دعائه؟ استجاب الله له، يقول سبحانه وتعالىٰ:

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ

مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

يعني: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾ وهي السفينة ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ تحت رعايتنا وحفظنا لك ﴿وَوَحۡيِنَا﴾ وأمرنا وتعليمنا لك صنعتها.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بالعذاب والإغراق لأعدائك ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ أي: تفجر الماء من العيون ﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا﴾ أي: أدخل في السفينة ﴿مِن كُلٍّ﴾ أي من كل صنف من أصناف المخلوقات ﴿زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ ذكر وأنثىٰ.

و أدخل فيها كذلك ﴿أَهۡلَكَ﴾ ومن معك من المؤمنين والمؤمنات ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ من الله بالإهلاك ﴿مِنۡهُمۡ﴾ وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله، فلا تدخلهم.

و بعد ذلك ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي﴾ وتسألني ﴿فِي﴾ نجاة ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ وكفروا، حيث ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ علىٰ ما هم عليه من الكفر.

﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ﴾ راكبًا ﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ﴾ مصير ﴿ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين يغرقون.

و أيضًا ﴿قُل﴾ إذا خرجت منها بعد انتهاء الطوفان، وجفاف الماء ﴿رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا﴾ فيه: كثرة النسل، وتتابع الخيرات ﴿وَأَنتَ﴾ وحدك ﴿خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ فاختر لنا ما تراه خيرًا يا رب العالمين.

حقًا.. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾

أي: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الصنيع من نوح للسفينة، والطوفان، وإهلاك الظالمين، ونجاة المؤمنين ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ دالة علىٰ صدق الأنبياء فيما دعوا إليه، ودالة علىٰ توحيد الله وقدرته.

وكذلك هي اختبارات للعباد ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ لنعرف مَن يؤمن ومَن يكفر، فننجي مَن يؤمن، ونهلك مَن يكفر.

**ثم كانت القصة الثانية** وهي: قصة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ. يقول ربنا تبارك وتعالىٰ:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾

أي: ثم خلقنا ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد قوم نوح ﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ أي: أهل قرن آخرين، وهم: عاد قوم هود.

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾

**يعني**: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا﴾ وهو هود عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مِّنْهُمْ﴾ وليس من غيرهم، فقال لهم ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحده وأطيعوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ يستحق أن يعبد.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ غضبه وعقوبته، حينما تعبدون غيره؟

فماذا كان ردهم عليه، وإجابتهم له؟

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾

**يعني**: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ أي: السادة الذين يتصدرون القوم، ويملئون العيون إبهارًا ﴿مِن قَوْمِهِ﴾ وهم: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله تعالىٰ.

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ﴾ الله في ﴿ٱلْءَاخِرَةِ﴾ وهي يوم القيامة.

﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ ونعمناهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بكثرة الأموال والأولاد، قالوا أمرين:

**الأول**: إنكار النبوة، حيث قالوا: ﴿مَا هَٰذَآ﴾ الذي يدعوكم ﴿إِلَّا بَشَرٌ

﴿مِّثۡلُكُمۡ﴾ وليس ملكًا، كما أنه ﴿يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ﴾ منه.

و علىٰ هذا ﴿لَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرًا مِّثۡلَكُمۡ﴾ وآمنتم بإله واحد ﴿إِنَّكُمۡ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

**الثاني**: إنكار البعث حيث قالوا: ﴿أَيَعِدُكُمۡ﴾ هود ﴿أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ﴾ بعد الموت ﴿تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ بالية ﴿أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ﴾ مرة أخرىٰ، للحساب والسؤال والثواب والعقاب.

أبدًا، أبدًا ﴿هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ﴾ بعيد بعيد ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ به من البعث والحساب والثواب والعقاب، ولكن الحقيقة التي نؤمن بها، ولن نحيد عنها.

﴿إِنۡ هِيَ﴾ ما هي ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا﴾ أن يموت بعضنا ويولد غيره، يذهب أناس ويأتي غيرهم، هكذا ﴿وَمَا نَحۡنُ﴾ إذا متنا ﴿بِمَبۡعُوثِينَ﴾ كما يقول.

ولذلك فحكمنا عليه ما يلي:

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ۝٣٨﴾

**يعني**: ﴿إِنۡ هُوَ﴾ ما هو ﴿إِلَّا﴾ مجرد ﴿رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فيما يدعيه، ويدعو إليه ﴿كَذِبًا﴾ ولم يرسله أحد، و بالتالي ﴿وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ ولا لدعوته بمتبعين.

نلاحظ أنه ليس في كل ما ذكروه وما حكموا به، ردّ حقيقي علىٰ دعواه لهم بل كلها استهزاء به، وتكذيب له، وتهديد إليه وهي عادة الطغاة مع الدعاة في كل العصور.

ولكن ماذا فعل هود عليه السلام؟

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩﴾

أي: لجأ إلىٰ ربه، وطلب عونه ونصرته.

ماذا كانت نتيجة دعائه؟ لقد استجاب الله دعاءه، حيث :

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

**يعني**: بعد قليل سينزل بهم العذاب، فإذا ما عاينوه، صاروا نادمين، ولكنه ندم عقيم لا يفيد .**وبالفعل..**

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

أي: نزل بهم العذاب ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ من جبريل عليه السلام ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل، الذي يستحقونه؛ نتيجة كفرهم وطغيانهم.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ بهذا العذاب ﴿غُثَآءً﴾ أي: دمرهم حتىٰ صاروا مثل ما يحمله السيل من الورق الجاف وغيره.

﴿فَبُعْدًا﴾ وهلاكًا ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين.

**ثم كانت القصة الثالثة**، وهي: علىٰ سبيل الإجمال لعدد من الأنبياء يقول ربنا تبارك وتعالىٰ:

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾

**يعني**: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا﴾ خلقنا ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ وهم قوم عاد ﴿قُرُونًا﴾ أي: أهل قرون ﴿ءَاخَرِينَ﴾ مع أنبيائهم، وكان لكل أمة أجل وموعد تأتي فيه ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بأن تموت أو تهلك قبله ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عنه كذلك.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ إليهم ﴿تَتْرَا﴾ متتابعة، واحدًا بعد واحد؛ يدعونهم إلىٰ توحيد الله، وعبادته، والعجيب أنه كان ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً﴾ منهم ﴿رَّسُولُهَا﴾ ودعاهم إلىٰ توحيد الله وعبادته ﴿كَذَّبُوهُ﴾ وعاندوه وحاربوه.

﴿فَـ﴾ أهلكناهم و ﴿أَتْبَعْنَا﴾ في الهلاك ﴿بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ كذلك ﴿جَعَلْنَٰهُمْ﴾ في أفواه التاريخ ﴿أَحَادِيثَ﴾ يرويها الناس لبعضهم البعض.

ولأنهم ظلموا، ولم يؤمنوا، ولم يتبعوا رسلهم ﴿فَبُعْدًا﴾ من رحمة الله، وهلاكًا ﴿لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾.

**ثم تكون القصة الرابعة،** وهي: قصة موسىٰ وأخيه هارون عليهما السلام. يقول الواحد الأحد سبحانه:

﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٤٥ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ٤٦ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ٤٨﴾

**يعني:** ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا﴾ من جهتنا ﴿مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الدالة علىٰ وحدانيتنا وقدرتنا، وهي العصىٰ، واليد، وغيرهما ﴿وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ أي: حجة واضحة قوية ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ الذين يتصدرون الناس، ويملئون العيون إبهارًا يدعوهم إلىٰ توحيد الله، وعبادته، وطاعته.

فماذا فعلوا؟ يقول تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ أي: امتنعوا عن الإيمان، والاعتراف بوحدانية الله، وقدرته تكبرًا منهم، وعنادًا، وترفعًا.

﴿وَكَانُواْ﴾ بطبيعتهم ﴿قَوۡمًا عَالِينَ﴾ مترفعين علىٰ الحق، غير مذعنين له.

ولأنهم كانوا كذلك فقد قالوا لقومه؛ ليصرفوهم عن الإيمان ﴿أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا﴾ وليسوا ملائكة، أيضًا ﴿وَقَوۡمُهُمَا﴾ بنو إسرائيل ﴿لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ خاضعون مطيعون، علىٰ هذا ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ ولم يؤمنوا، فاستحقوا العذاب، فعذبهم الله بالإغراق ﴿فَكَانُواْ﴾ بهذا ﴿مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ﴾ ونجّىٰ الله موسىٰ وقومه من فرعون وقومه.

ثم يقول الله تعالىٰ:

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٤٩﴾

أي: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى﴾ بعد نجاته بقومه من فرعون ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الذي هو التوراة، فيه تشريعات وهداية لبني إسرائيل، وكان ذلك ﴿لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ به، فيعبدون الله، ويطيعونه.

**ثم تأتي القصة الخامسة** وهي: قصة عيسىٰ ومريم عليهما السلام، يقول ربنا سبحانه وتعالىٰ:

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾

**يعني:** ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ عيسىٰ عليه السلام ﴿وَأُمَّهُۥٓ﴾ عليها السلام ﴿ءَايَةً﴾ دالة علىٰ وحدانيتنا وقدرتنا؛ حيث خلق من غير نطفة؛ وهي ولدت من غير لقاء، ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ﴾ وأوصلناهما ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ مرتفع من الأرض، يحتميان بها ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ يستقران عليها، ويستريحان فيها، ويعيشان علىٰ ثمار أشجارها ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماء طاهر عذب، يشربان منه. وبعد، فيقول الله تعالىٰ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾

**والمعنىٰ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ وهذا النداء والخطاب، وإن جاء في الآية بلفظ الجمع.. إلا أنه في التنفيذ نودي كل رسول علىٰ حدة، وخوطب بقوله: ﴿كُلُوا۟﴾ أنت وقومك ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلال ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ يرضي الله تعالىٰ، ويصلح البلاد، ويسعد العباد، ولا تخالفوا أوامري حيث ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ به، أجازي عليه أيضًا ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ أي: ملة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ يا معشر الرسل والأقوام ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ملة واحدة، وشريعة واحدة.

﴿فَٱتَّقُونِ﴾ فخافوا عقابي، ولا تختلفوا حولها، ولا تتنازعوا فيها.

ماذا كانت مواقف أقوام الرسل أمام هذا النداء الإلهي؟ يقول المولىٰ عز وجل:

﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾

أي: ﴿فَـ﴾ اختلفوا، و ﴿تَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم﴾ أي: أمر دينهم ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ وجعلوه قطعًا، أي: أديانًا، وصاروا بالتالي فرقًا وأحزابًا وحرفوا بهذا دين الله.

والعجيب أنه كان ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ مما فعلوه حسب هواهم من الدين ﴿فَرِحُونَ﴾ لأنهم معتقدون أنهم علىٰ الحق وحدهم.

وبذلك عم الضلال، وانتشر الباطل، وتوارىٰ صحيح الدين، فعبدت الأصنام، وحورب التوحيد حتىٰ وصل ذلك إلىٰ كفار مكة، ولذلك يقول ربنا لمحمد ﷺ:

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

هذا الكلام وإن كان لمحمد ﷺ، إلا أنه يدخل فيه التوجيه لكل الدعاة المستضعفين أمام الطغاة المعاندين، في كل العصور.

**والمعنىٰ**: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ أي: فاتركهم، بعد أن دعوتهم، وأنذرتهم ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ أي: جهالتهم وعنادهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى أن يقتلوا فيه أو يموتوا، لقد اغتروا ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾ ونعطيهم إياه ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ في هذه الدنيا ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ لحبنا لهم، وكرامتهم عندنا؟ كلا وألف كلا، نحن لا نفعل ذلك لهذا الذي يظنون إنما هو استدراج لهم؛ لزيادة عذابهم علىٰ عدم شكرهم وإيمانهم، ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك؛ لأنهم بلا عقول يفهمون بها.

وإذا كان هؤلاء في غمرتهم يعمهون، ويحسبون أننا نسارع لهم في الخيرات، وهم في الحقيقة لا يشعرون، ولا يعرفون الصواب، فهذه هي صفات الذين يسارعون في الخيرات حقيقة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾

تذكر هذه الآيات الكريمة صفات المؤمنين الذين يسارعون في الخيرات، وهي أربع صفات:

**الأولىٰ**: أنهم ﴿مِّنْ خَشْيَةِ﴾ عذاب ﴿رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ خائفون، دائمون في طاعته، جادون في مرضاته سبحانه.

**الثانية**: أنهم ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ الدالة علىٰ وحدانيته وقدرته، من مسطوره ومنظوره ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون.

**الثالثة**: أنهم ﴿بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ معه أحدًا في خلقه، ولا في عبادته.

**الرابعة**: أنهم ﴿يُؤْتُونَ﴾ يعطون ﴿مَآ ءَاتَوا۟﴾ من الصدقة والأعمال الصالحة

obeikandl.com

﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفة أن لا تقبل منهم؛ لأنهم يوقنون ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ وسيحاسبهم، ولن يقبل منهم إلَّا ما كان خالصًا لوجهه سبحانه.

حقًّا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هم الذين ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ والأعمال الصالحة مرضاة لله تعالىٰ، ﴿وَهُمۡ لَهَا﴾ بالفعل ﴿سَٰبِقُونَ﴾ في نوال جزائها الطيب من الله تعالىٰ.

واعلموا جيدًا أن هذه الصفات الأربع، التي نرجو الله تبارك وتعالىٰ أن يعيننا علىٰ التحلي بها، هي في مقدور الإنسان، وليست فوق طاقته، كما أن ثوابها لا يضيع أبدًا يقول الله تعالىٰ:

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

**يعني:** ما كلف به الإنسان وطولب به من العمل الصالح، هو في طاقته وإمكاناته التي أودعها الله فيه؛ حيث ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾.

أيضًا، ﴿وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٌ﴾ تسجل فيه أعمال العبد، ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف: ٤٩].

هذا الكتاب: ﴿يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ الذي فيه أعمال العباد.

﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ بضياع شيء منه أو إخفاء شيء فيه، ولا زيادة عليه، ولا نقصان منه.

وهذا الكلام يصدق علىٰ المؤمنين، وعلىٰ الكافرين والمؤمنون يعلمونه، ويؤمنون به أما الكافرون، فيقول عنهم الحكيم الخبير:

﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

**يعني:** ﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ وهم الكافرون علىٰ غير ما عليه قلوب المؤمنين؛ إذ هي ﴿فِي غَمۡرَةٖ﴾ غفلة ﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾ القرآن وما فيه، مما ينفعهم كذلك ﴿وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ﴾ سيئة

﴿مِن دُونِ﴾ أي: غير ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أعمال المؤمنين، ومضادة لها ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ وعلىٰ أدائها مستمرون، معاندون.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ أغنياءهم، ورؤساءهم، المنعمين فيهم بالعذاب ﴿إِذَا هُمْ﴾ جميعًا ﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ يصرخون، ويستغيثون. وساعتها يقال لهم:

﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

أي: ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟﴾ لا تصرخوا ولا تستغيثوا بنا ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ حيث ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ ولا من أحد غيرنا يا هؤلاء.. ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى﴾ في القرآن، الدالة علىٰ وحدانيتي وقدرتي ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ رجاء إيمانكم بها، وطاعتكم لربكم ﴿فَكُنتُمْ﴾:

**أولًا:** لا تؤمنون و ﴿عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ أدباركم ﴿تَنكِصُونَ﴾ ترجعون بدون إيمان للوراء، لا عن عيب في هذا القرآن، ولا عن عدم فهم لآياته؛ إذ هو بلسان عربي مبين.

**ثانيًا:** بل كنتم ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ أي: متكبرين بالواقع الذي كنتم عليه، وهو أنكم أهل البيت والحرم عن قبول الحق الذي في القرآن.

**ثالثًا:** وكنتم تتخذون القرآن ﴿سَٰمِرًا﴾ لكم تسمرون به وتتحدثون عنه في مجالسكم وسهراتكم، كما كنتم ﴿تَهْجُرُونَ﴾ بفحش القول فيه.

وبعد أن وصف الله حالهم من أنهم كانت تتلىٰ عليهم الآيات، فلا يؤمنون، بل علىٰ أدبارهم ينكصون مستكبرين، وأنهم يتخذون القرآن لهوًا وسمرًا، فيه يهجرون ويفحشون بيّن الله عز وجل أن ذلك الموقف لا بد أن يكون منهم لواحد من هذه الأمور التالية: حيث يقول:

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن

فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾

**يعني:** ﴿أَ﴾ وقفوا هذا الموقف، فكفروا؛ لواحد من هذه الأمور:

**أولها:** أنهم ﴿لَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ وهو القرآن، فيستدلون به على صدق النبيﷺ..!!

**ثانيها:** ﴿أَمْ﴾ لأنه ﴿جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ وطبعًا هم على آثارهم مقتدون، فلذلك ينكرون..؟

**ثالثًا:** ﴿أَمْ﴾ لأنهم ﴿لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ محمدًا بالصدق والأمانة والشرف، ﴿فَهُمْ لَهُ﴾ بناءً على عدم المعرفة المفترض ﴿مُنكِرُونَ﴾ لرسالته؟

**رابعها:** ﴿أَمْ﴾ لأنهم يكذبون، و ﴿يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي: أصابه مس من الجنون، فهو يهذي بهذا الكلام، وليس برسول لا، لا هذا ولا ذاك.

﴿بَلْ﴾ قد ﴿جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾ وهو القرآن، المشتمل على دعوتهم للتوحيد، وطاعة الله، واتباع شرائع الإسلام، لكن ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ لهذا الحق ﴿كَارِهُونَ﴾ ومتبعون لأهوائهم، ﴿وَ﴾ حقيقة ﴿لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ هذه ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ لتعدد الأهواء، وتعارض الرغبات.

﴿بَلْ﴾ الحق الذي لا مرية فيه، ولا خفاء حوله، ﴿أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم وعزهم، لو آمنوا به، وعملوا بما فيه.

﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ منصرفون مبتعدون.

**خامس** هذه الأمور، التي قد يكونون بسببها كافرين، ما في قوله تعالى: ﴿أَمْ﴾ لأنك يا محمد ﴿تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ أي: أجرًا ومكافأة على دعوتك لهم ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠] إن كانوا يظنون ذلك ﴿فَـ﴾ أعلمهم أن ﴿خَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ لك من خراجهم، وأنه سبحانه ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وليسوا هم برازقين.

طبعًا، ليس لهم عذر في واحد من هذه الأمور التي ذكرت، يجعلهم يقفون من آيات الله هذا الموقف!! ولكنه الجهل، والعناد.

obeikandl.com

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾

نعم ﴿وَإِنَّكَ﴾ في حقيقة الأمر، وواقعه ﴿لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلام؛ لتنقذهم من عذاب أليم، وترشدهم إلىٰ جنات النعيم.

ولكن ما باليد حيلة كما يقولون.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾

**يعني**: هم لا يستجيبون، ولا يؤمنون؛ لعدم إيمانهم باليوم الآخر.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ﴾ وما فيها من بعث وحساب، وثواب وعقاب ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ المستقيم، وهو الإسلام ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾ لمنحرفون.

ومن عجائب الأمور ما يقوله رب العزة عنهم:

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾

**يعني**: ﴿وَلَوْ﴾ استجبنا لهم، و ﴿رَحِمْنَٰهُمْ﴾ حينما يجأرون ويصرخون من شدة العذاب ﴿وَكَشَفْنَا﴾ عنهم ﴿مَا﴾ نزل ﴿بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ حينما يستغيثون بنا أتدرون ماذا يفعلون؟ الجواب: ﴿لَّلَجُّوا﴾ أي: استمروا وتمادوا ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾ واستكبارهم وعنادهم، وعداوتهم للنبي ﷺ ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون.

وفعلًا كما يقول الله تعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾

أي: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم﴾ وابتليناهم في الدنيا ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ وهو المصائب والنوازل والكوارث؛ ليؤمنوا!! فماذا كان موقفهم؟ إنهم ﴿مَا ٱسْتَكَانُوا﴾ أي: ما خضعوا ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ إيمانًا ﴿وَمَا﴾ كانوا ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾ له بالدعاء، والسؤال؛ تكبرًا وعنادًا، وظلوا كذلك علىٰ كفرهم وعنادهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا﴾ من العذاب ﴿ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ أكثر إيلامًا وإيذاءً ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من رحمة الله؛ لعدم إيمانهم به سبحانه.

لمَّا بيّن ربنا عز جل مبالغة الكفار في الإعراض عن القرآن، ورؤية الدلائل على وحدانية الله، والاعتبار بقدرته!! قال لجميع الخلق ـ تقريعًا وتوبيخًا للكافرين، وتذكيرًا بالنعم للمؤمنين. **قال لهم أولًا:**

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾

أي: فاستعملوها فيما خلقت له، واشكروا الله عليها، فإن من لم يستعملها: فقد صار كمن عدمها، ومن لم يشكر: صار كمن جحد فضل خالقها. **ثم قال ثانيًا:**

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾﴾

أي: فاعمروها، وأصلحوا فيها، وأسعدوا عباد الله عليها، وما دمتم ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ في النهاية، فاستعدوا بطاعة الله لهذا اللقاء في يوم البعث. **ثم قال ثالثًا ورابعًا:**

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾

أي: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ وحده؛ لأنه هو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢] وهو الذي يبعثكم، ويحاسبكم، ويجازيكم، فانتبهوا لذلك واستعدوا له.

كذلك ﴿وَلَهُ﴾ وحده القدرة على اختلاف ﴿ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وتتفكرون في هذه الأشياء، وتعتبرون بها!! فتؤمنون أيها الكافرون، وتشكرون أيها المؤمنون، هذا ولقد ازداد المؤمنون بها إيمانًا وهم يشكرون من فضل الله عليهم.

وأما الكافرون، فيقول عنهم ربنا تبارك وتعالى:

﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾

**يعني:** ﴿بَلْ﴾ انصرف الكافرون عن التفكير، والتعقل، والاعتبار بما في آيات الله

هذه من دلائل توحيده، وخرجوا عن الموضوع إلىٰ موضوع آخر، حيث ﴿قَالُوٓاْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ من الكافرين الذين سبقوهم.

ولكن ماذا قال الأولون؟ ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾؟ إن هذا لا يعقل، ولن يكون!! يعني: أنكروا البعث وهؤلاء ينكرون البعث مثلهم إذًا وهذه مصيبتهم الأولىٰ .

المصيبة الثانية أنهم قالوا: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾ أي: البعث بعد الموت ﴿مِن قَبْلُ﴾ وهذا ليس بحقيقة بل الحقيقة أن هذا الكلام ما هو ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وحكاياتهم التي اختلقوها، وليس عليها من دليل.

ويرد الله عز وجل علىٰ هؤلاء الذين ينكرون البعث، ويعبدون الأصنام، ويقولون عنها إنها تقربنا إلىٰ الله بثلاثة أشياء، يأمر الحبيب ﷺ أن يقولها لهم.

**الأول:** ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

**يعني:** ﴿قُلْ﴾ لهم واسألهم ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فأجيبوني؟ وسيجيبونك ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾

﴿قُلْ﴾ لهم إذاً ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وتعرفون أن مَن قدر علىٰ خلقها من العدم قادر علىٰ إعادتها، وبعث مَن فيها؟ أفلا تؤمنون به، وتوحدونه؟!!

**الثاني:** ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾

**يعني:** ﴿قُلْ﴾ لهم واسألهم ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾؟ إن كنتم تعلمون فأجيبوني، وسيجيبونك ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾ ﴿قُلْ﴾ لهم إذًا ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ غضب الله، وتقرون أن هذا الرب العظيم قادر علىٰ البعث والإعادة، وأنه سيحاسب وسيجازي. أفلا تؤمنون به، وتوحدونه؟!!

obeikandi.com

**الثالث:** ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

**يعني:** ﴿قُلْ﴾ لهم واسألهم ﴿مَنْ بِيَدِهِ﴾ وتحت قدرته ﴿مَلَكُوتُ﴾ ملك ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ ؟ ﴿وَ﴾ قل لهم أيضًا واسألهم من ﴿هُوَ﴾ الذي ﴿يُجِيرُ﴾ يغيث مَن يشاء ممن يشاء ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: ولا يغيث أحد منه أحدًا..؟ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فأجيبوني!! وسيجيبونك ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ !!

﴿قُلْ﴾ لهم إذاً ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ تخدعون عن الحق، وعن توحيد الله وعبادته!! أفلا تؤمنون به، وتوحدونه!!

يقول عن هؤلاء ربنا سبحانه وتعالىٰ:

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾

**يعني:** ﴿بَلْ﴾ أكثر من هذا استدلالًا علىٰ التوحيد والقدرة؛ حيث ﴿أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ الذي هو القرآن، وما فيه من آيات كثيرة.

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ مع كل ذلك ﴿لَكَاذِبُونَ﴾ مكذبون.

ثم يرد الله عز وجل علىٰ الجاعلين لله شريكًا من ولد أو صنم، وذلك بالدليل القاطع حيث يقول سبحانه:

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾

**يعني:** لم يتخذ الله لنفسه ولدًا، كما يقول القائلون بذلك، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ يشركه في ملكه وحكمه، وما يقوله كل فريق من هؤلاء باطل، إذْ لو كان ما يزعمونه صحيحًا ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ واستبد به، وانفرد عن الآخر، وبالتالي

حدث النزاع بينهما، أيهما المالك القادر!!

﴿وَلَعَلَا﴾ بالضرورة ﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ولغلب بعضهم بعضًا، وبما أنه لم تظهر آثار هذه المنازعات والمغالبات، فهو بالقطع إلٰه واحد، وهو الله، الذي بيده ملكوت كل شيء.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ المنزه ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الأولاد والأنداد ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ ما يغيب عن المخلوقات ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما يشاهدونه، ﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾ وتنزه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ويقول الظالمون الجاحدون.

ثم يخاطب ربنا حبيبه ﷺ بهذا الخطاب الذي يدخل معه فيه كل مسلم. حيث يقول له رب العزّة:

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾

أي: ﴿رَّبِّ﴾ يا رب كان ولا بد أن ﴿تُرِيَنِّي﴾ ما تعد به هؤلاء العصاة الطغاة الكافرين من العذاب، فافعل ما شئت، ولكن لا تجعلني قرينًا لهم، ولا تعذبني بعذابهم.

ثم يطمئن المولىٰ حبيبه ﷺ، بهذا الخطاب ـ كذلك ـ الذي يدخل فيه معه كل مسلم، حيث يقول له عز وجل:

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

**يعني:** ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في الدنيا أو في الآخرة، مع نجاتك منهم، وعدم عذابك معهم، كما طلبت ﴿لَقَٰدِرُونَ﴾.

وبعد ذلك يرشد المولىٰ جلت حكمته وتعالت عظمته، محمدًا ﷺ، ومعه أيضًا كل مسلم إلىٰ ما فيه حسن المعاملة، حيث يقول له جل جلاله:

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾

أي: ﴿ٱدْفَعْ﴾ إساءتهم لك ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ منك، قولًا وفعلًا، حيث إن ذلك مطلوب مع الخلق كلهم ما لم يؤد إلىٰ نقص دين أو مروءة.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ ويقولون وسنجازيهم عليه، وهذا بالنسبة لبني الإنسان.

وأما لبني الشيطان، فيقول المولىٰ مرشدًا:

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾

أي: ادفع إساءتهم، ووسوستهم لك باللجوء إلىٰ الله، والاستعاذة به عز وجل منهم ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ﴾ أمرين:

**أولهما:** ﴿هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ وهي كيده، ووسوسته.

**ثانيهما:** ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ أي: مجرد حضورهم.

كل ذلك ليسلم من أذاهم، وينجو من شرهم.

إنَّ الإحسان إلىٰ المسيء، ودفع السيئة بالحسنة، أمر فيه صعوبة علىٰ النفس، والشيطان يستغل هذه الثغرة في الإنسان، لذلك كانت آيات الاستعاذة من الشيطان، بعد آيات الإحسان إلىٰ الإنسان، لنتعلم منها أن هذا السلوك يحتاج إلىٰ قوة في النفس، واستعاذة من الشيطان.

ثم ينبه ربنا جل وعلا إلىٰ ضرورة المسارعة والإكثار من العمل الصالح، قبل فوات الأوان، حيث يقول جل وعلا:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

**يعني:** يظل المرء في غفلته ولهوه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ ورأى مقعده من النار، أو مقعده من الجنة، ساعة الاحتضار!!

﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ إلىٰ الدنيا مرة أخرىٰ ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ وضيعت من عمري.

obeikandi.com

وهنا.. يجيبه المولى بقوله: ﴿كَلَّآ﴾ أي: لا رجوع، ثم يقول: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾ أي: رب ارجعون ﴿هُوَ قَآئِلُهَا﴾ متحسرًا نادمًا، لا يسكت عنها، ولا ينال الرجوع بها.

﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي: أمامهم بعد الموت ﴿بَرْزَخٌ﴾ حاجز يمنعهم من الرجوع ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾

**يعني:** ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ يوم القيامة لبعثهم من مرقدهم، وبعثوا ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ تنفعهم؛ لزوال التراحم والتعاطف، من فرط الحيرة، واستيلاء الدهشة، والفزع، ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ إذْ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧].

وساعتها تختلف أحوال الناس، ويختلف مصيرهم.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

أي: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالحسنات منهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالجنة، ورضوان الله.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

أي: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بسبب السيئات والكفر منهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ وضيعوها، وأصبح مصيرهم ﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ فيها، لا يخرجون، ولا يموتون.

وعندما يقتربون منها ويدخلونها:

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

**يعني:** ﴿تَلْفَحُ﴾ تحرق ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ عندما يقتربون منها، و عندما يدخلونها ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ عابسون، حرقت شفاههم، وانكشفت أسنانهم.

ثم يقال لهم تبكيتًا وتوبيخًا:

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

**يعني:** ﴿أَ﴾ أهملتكم؟ و﴿لَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾ من القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ وفيها دعوتكم لتوحيدي، وتخويفكم من غضبي وعذابي؟

لا لم أهملكم، بل أرسلت إليكم رسولي بآياتي ﴿فَكُنتُم﴾ له تعاندون، و ﴿بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ أليس كذلك؟

أتدرون ما جوابهم؟

﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

أي: أنهم أقروا واعترفوا بأن السيئات كتبت عليهم، وأنهم كذبوا، ولكنهم تعللوا بقولهم: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي: غلب علينا شقاؤنا بأعمالنا السيئة، التي عملناها، كذلك ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ عن الحق، ضائعين عن الصواب، وقد بقي عندنا الأمل في النجاة مما نحن فيه.

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ الآن ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلىٰ الكفر والتكذيب والعمل السيء ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ لأنفسنا، فعذبنا.

فيكون الجواب:

﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾

**يعني:** ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ أي: اسكتوا سكوت مذلة وهوان وحقارة ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ بعد ذلك في رفع العذاب عنكم، أو تخفيفه، وفعلًا لا يتكلمون بعدها أبدًا، ولا يكون منهم إلَّا الشهيق والزفير.

ثم يقول لهم القوي العزيز: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ وهم المؤمنون

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فلم تؤمنوا مثلهم، ولم تقولوا قولهم، بل ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ أي: مادة لسخريتكم واستهزائكم، وعبثكم ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ﴾ من سخريتكم بهم ﴿ذِكۡرِي﴾.

﴿وَكُنتُم﴾ كذلك ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ ومن إيمانهم، ومن عبادتهم ﴿تَضۡحَكُونَ﴾ وتسخرون.

بالطبع أنتم تعرفون أن ما أنتم فيه نتيجة لذلك، هل تريدون معرفة ما حدث لهؤلاء الذين كنتم تسخرون منهم؟

﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ خيرًا ﴿بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ بسبب صبرهم عن المعصية، وصبرهم على الطاعة، حقًّا ﴿أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ بالسعادة، والسلامة، والنجاة من النار، والفوز بالجنة.

وبعد أن بين رب العزة استحالة رجوعهم إلى الدنيا كما سألوا، يذكرهم بما لبثوا فيها على كفرهم.

﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢﴾

أي: ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ﴾ وعشتم في الدنيا من السنين؟

﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣﴾

أي: ﴿قَالُواْ﴾ مجيبين: ﴿لَبِثۡنَا﴾ ومكثنا وعشنا في الدنيا ﴿يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ فقط، لا ندري بالتحديد ﴿فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ﴾ أي: الملائكة الذين كانوا يحصون علينا ويكتبون كل شيء، وقد قالوا ذلك من هول ما هم فيه من العذاب، الذي أذهب عقولهم، وطال عليهم.

وهنا: يكون الجواب القوي الواضح:

﴿قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾

يعني: ﴿قَالَ﴾ لهم: حقًّا ما ﴿لَبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ بالنسبة لمَا أنتم فيه مقيمون ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ علمًا يفيدكم.

ثم يوبخهم علىٰ غفلتهم وكفرهم بالبعث قائلًا: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ بلا غاية ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ للحساب والثواب والعقاب؟!! ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ عن هذا العبث الذي قد تظنون ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وحده ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ سبحانه لو آمنتم به قبلًا، لنجوتم الآن فعلًا.

هكذا ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ ويعبده ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ ولا برهان لأحد علىٰ ألوهية غير الله، ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ﴾ وجزاؤه ﴿عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، حقًّا ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

وفي نهاية السورة يعلمنا ربنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله عز وجل:

﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

أي: ﴿قُل﴾ ضارعًا ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ﴾ لي وللمؤمنين، ﴿وَٱرْحَمْ﴾ أي: ارحمني والمؤمنين بفضلك وإحسانك يا أرحم الراحمين.

فأنت أهل لذلك ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وأفضل الغافرين.

﴿... رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

* * *